مجلة الدراسات الأثرية ISSN: 1111-7699
المجلد: 19..العدد: 01./2021/ص ص: 87-112 EISSN 2600-6499

المسكن في الجزائر خلال العهد العثماني؛ دراسة في عناصره المعمارية

The House in Algeria during the Ottoman era; A study in its architectural elements

علي بوتشيشة •[1]
معهد الآثار – جامعة الجزائر ali.boutchicha@univ-alger2.dz2

تاريخ الإستلام 31./.05./2021 تاريخ القبول 03./.07./2021 تاريخ النشر 2021/12/19

الملخص :

تعد الفترة العثمانية فترة غاية في الأهمية في تاريخ وحضارة الجزائر عمرانيا، وقد تخلف عنها العديد من العمائر، منها المدنية والتي تأتي في مقدمتها العمارة السكنية على غرار الدور والقصور، المشكلة من الوحدات والعناصر المعمارية والفنية.

ومن جملة العناصر المعمارية نجد المداخل والنوافذ والشمسيات والحوامل من دعامات وأعمدة إضافة إلى العقود، ونضيف إليها عناصر التسقيف والسلالم.

لقد كانت العناصر المعمارية للمسكن في الجزائر خلال العهد العثماني مزيجا في تركيبتها وتشكيلها بين التقاليد المحلية والتأثيرات الوافدة مع العثمانيين، غير أن التقاليد المحلية كانت هي الطاغية والأقوى حضورا لعدة عوامل واعتبارات.

الكلمات المفتاحية: العهد العثماني، الجزائر، العمارة المدنية، المسكن، العناصر المعمارية.

Abstract :

The Ottoman period is a very important period in the history and civilization of Algeria in the urban sphere, and many buildings have been left to us, including civil buildings, which come in the forefront of residential architecture such as houses and palaces, Which consists of architectural and artistic units and elements.

Among the architectural elements, we find entrances, windows and means of support such as pillars and columns in addition to arches, and we add to them the elements of roofing and transition.

The architectural elements of dwellings in Algeria during the Ottoman era were a mixture in their composition and formation between local traditions and influences coming with the Ottomans, however, local traditions were more predominant and strongest presence due to several factors and considerations.

Keywords: The Ottoman era, Algeria, Civil architecture , House, Architectural elements.

• المؤلف المرسل

1. مقدمة

يعتبر المسكن عموما العنصر الأساسي في تكوين نسيج الحي بالمدينة الإسلامية والأكثر كثافة، وقد خضع في تصميمه لعدة معطيات؛ دينية واجتماعية واقتصادية وطبيعية وبيئية، كما يكون قد تأثر بالتصاميم القديمة، إلا أنه كان أكثر ارتباطا في شكله بقيم وتعاليم الدين الإسلامي مما منحه الحرمة والقدسية والخصوصية، كما جعله متشابها في جميع العهود الاسلامية وذلك من خلال تكويناته المعمارية والزخرفية ولم يكن الاختلاف إلا في بعض التفاصيل.

وبالحديث عن الجزائر (المغرب الأوسط)؛ فإن عمائر العصر العثماني بمختلف أنواعها التي أقيمت عليها حينها تعتبر هي الأكثر عددا بين عمائر العصور السابقة التي مازالت قائمة لطول أمد العصر العثماني وقرب العهد منه، وهو الأمر الذي نلاحظه في العديد من الدول التي خضعت للحكم العثماني على غرار تونس ومصر وبلاد الشام عموما، وقد مثلت تلك الآثار الشاهد المادي الأبرز – الذي لا تخطئه العين– الدال على الامتزاج الحضاري والثقافي بين العثمانيين والسكان المحليين. ومن أهم تلك العمائر نذكر العمارة السكنية، فهل كان لعناصرها المعمارية خصوصية معينة جعلها تختلف عن مثيلاتها في العمارة السكنية الاسلامية عموما وعمارة بلاد المغرب بالخصوص؟ أم اتسمت بالاستمرارية والوحدة وإن اختلفت في بعض التفاصيل؟

هذا ما نحاول التطرق إليه والبحث فيه من خلال هذه الدراسة.

2. العرض:

1.2– الخصائص المعمارية للعمارة السكنية في الجزائر خلال العهد العثماني:

كانت المساكن في الجزائر خلال العهد العثماني تتخذ طرازا واحدا تقريبا يتكرر بنفس الشكل والوحدات والعناصر في مختلف المدن على غرار مدينة الجزائر ووهران وقسنطينة ومستغانم والمدية والبليدة ومليانة[1]، ولا يبدو الاختلاف إلا من

(1) – **أنظر** : – محمد الطيب عقاب، **قصور مدينة الجزائر** في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1985م و– زكية راجعي، **مساكن الفحص بمدينة الجزائر في العهد العثماني**، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007م، وعبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في الآثار الاسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009–2010 وعلي بوتشيشة، **العمارة الدينية والمدنية بمدينة وهران خلال العهد العثماني**، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2015م، وبوعبد الله بلجوزي، **دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم**، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005–2006م، وعبد القادر قرمان، **المنشآت المدنية في مدينة مليانة في العهد العثماني**، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2006–2007م. ونصيرة تتبيرت، **العمارة الدينية والمدنية بمدينة المدية خلال العهد العثماني**، مذكرة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008–2009. وسعاد بن شامة، **المنشآت المعمارية الأثرية بمدينة البليدة في العهد العثماني**، رسالة ماجستير، معهد الأثار، جامعة الجزائر، 2008–2009.

Sakina Missoum, **Alger à l'époque ottomane ; la Médina et la maison traditionnelle**, INAS, Alger, 2003, و- P.P 197-199.

حيث الحجم والمساحة وتعدد الأجنحة[2]. تشكلت في العادة من طابقين تفتح على الصحن من خلال أروقة، والراجح أن هذا الامتداد العمودي للمباني ذا صلة بمساحة الأرض المحدودة وبطبيعتها الطبوغرافية التي يغلب عليها الانحدار مما لا يسمح بالامتداد الأفقي في البناء[3]، وكانت هذه المساكن في مجملها ذات تصاميم محلية موروثة عن الطراز المغربي الأندلسي، أما التأثير العثماني فكان محدودا بحيث لم يتعد بعض التخطيطات (العناصر) المعمارية الثانوية والتفاصيل الزخرفية غير المهمة والتي لم تؤثر بحال على التنظيم (المخطط) الأساسي للمسكن[4]، علما أن المسكن التقليدي في تركيا عموما لا يتشابه في كثير مع المسكن في الجزائر خلال الفترة العثمانية[5].

وتشكلت هذه المساكن في الغالب من ثلاث مستويات؛ طابق أرضي وآخر علوي وسطح، ذات صحن مركزي تحفه أربعة أروقة عادة، وحول الأروقة تتوزع الحجرات والغرف التي يغلب عليها الاستطالة، بينما يتصدرها مدخل منكسر تليه السقيفة، تلك هي العناصر الأساسية المشكلة للمسكن عموما[6].

وقد انبثق عن هذا الطراز عدة أنماط فمنه النمط المديني الذي يتميز بضيق المساحة ومحدودية الأجنحة، وهناك النمط الريفي الذي يتميز بسعة المساحة وتعدد الأجنحة، وقد خلفت لنا الفترة العثمانية العديد من المساكن التي تنتمي إلى هذا النمط والتي أطلق عليها "مساكن الفحص" لا سيما بمدينة الجزائر، ومنها دار محيي الدين ودار عبد اللطيف ودار الداي حسين[7] .

وكثيرا ما كان للعامل الاجتماعي دوره في تحديد نمط البناء، فبينما تميزت دور العامة بالضيق والبساطة وعدم الانتظام في مخططها، تميزت في المقابل دور الحكام والبايات وكبار القادة والموظفين بالاتساع والفخامة وتعدد المرافق وانتظام مخططها.

(2) – يقول قنصل أمريكا بالجزائر وليام شالر (1816– 1824م) بخصوص مساكن مدينة الجزائر: "**والمنازل في الجزائر مخططة ومبنية كلها على نفس الطراز.. والتي لا تختلف إلا في الحجم وقيمة المواد التي بنيت بها.**" – وليام شالر، **مذكراته**، تعريب وتعليق وتقديم : إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص. 94.

(3) - André Raymond , **Grandes villes arabes à l'époque ottomane,.** Editions Sindbad, Paris, 1985, P. 307

(4) - Raymond**, Op. Cit.**, P.306.

(5) – زكية راجعي، "المسكن التقليدي في تركيا (خلال القرنين 17– 19م)"، مجلة آثار، العدد : 13، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2015م، ص. 86 و91.

(6)– علي بوتشيشة، **المرجع السابق**، ص. 292.

(7) – حول مساكن النمط الريفي **أنظر** : – زكية راجعي، **مساكن الفحص بمدينة الجزائر في العهد العثماني**.

وقد نضيف إلى النمطين السابقين نمط ثالث والمتمثل في القصور (دور الإمارة أو الحكم) التي بناها في العادة حكام البلاد وبايات المقاطعات، وهذا النمط يتشابه كثيرا مع النمط الريفي من حيث اتساعه وتعدد أجنحته حتى وإن بُني داخل المدن.

إن بناء قصر الحكم (دار الإمارة) بعيدا عن مركز المدينة تقليد درج عليه الخلفاء والأمراء والسلاطين منذ العصور الاسلامية الأولى، واستمر الحال حتى خلال الفترة العثمانية، وربما مثلت الجزائر العاصمة الاستثناء الوحيد أين أقيمت دار الإمارة بقلب المدينة أو قريبا من ذلك برغم بعض القلاقل والاضطرابات التي شهدتها هذه الأخيرة، وهذا طيلة فترة الحكم العثماني تقريبا والتي امتدت لأزيد من ثلاثة قرون[8].

بينما في مدن أخرى بنيت بعيدا عن المركز، فالملاحظ أنها في وهران على سبيل المثال بنيت جميعها بعيدا عن مركز المدينة سواء قصر الباي مصطفى المسراتي الذي بني في المنطقة الأعلى من القصبة أو قصر الباي محمد الكبير الذي شيّده في أقصى الطرف الشمالي الشرقي من وهران أو حتى قصر الباي حسن الذي عرف خلال الفترة الاستعمارية بقصر الكوليزي (Collysée) والذي احتل الجزء الشمالي من المدينة القديمة قبل أن يُهدم ويبنى محله المستشفى العسكري الفرنسي.

2.2- العناصر المعمارية للمسكن في الجزائر خلال العهد العثماني:

كثيرة هي العناصر المعمارية المشكلة للمسكن في الجزائر خلال العهد العثماني، إلا أنها تشابهت من حيث خصائصها المعمارية والفنية رغم التباعد الزمني والمكاني، بل والكثير منها كان عبارة عن نسخة واحدة تكررت عبر مختلف مدن الجزائر، وأهم هذه العناصر هي:

1.2.2-المداخل:

لقد تميزت مداخل الأبنية العامة والقصور في العمارة الإسلامية بالضخامة، وكثيرا ما ارتفعت أطرها وعقودها وحناياها الغائرة المحرابية الشكل، حتى بلغت علو جدران الواجهة وربما جاوزتها ارتفاعا، وقد ازدانت بجميع العناصر المعمارية الإسلامية وفنونها، كفقرات العقود الملونة والمتداخلة والفسيفساء والرخام والحليات الحجرية والجصية والخزف، وبشكل خاص المقرنصات والدلايات.

بمدن الجزائر خلال العهد العثماني اتخذت المداخل في العمائر المدنية عموما أشكالا وأبعادا مختلفة وفق الموضع الذي تحتله من المبنى، فإذا كانت المداخل الرئيسية للمباني غالبا ما تتخذ أحجاما كبيرة وببروز في معظم الأحيان

(8)- Sakina Missoum,**OP.CIT.** P. 144.

(الصورة 01)، فإن مداخل الغرف والحجرات وبعض المرافق تتخذ أحجاما متوسطة أو صغيرة، كما قد تكون هذه المداخل معقودة أو تكون بغير عقود (الصورة 2).

لقد كانت مداخل القصور الصيفية والدور الريفية خلال الفترة العثمانية – غالبا – ذات بروز يمتد إلى غاية السطح، ومن ذلك دار بابا حسن وقصر جنان الضباط ودار الداي حسين ودار الرايس حميدو وغيرها، وقد لا يمتد هذا البروز في مساكن أخرى إلى غاية السطح.

ومن جهة أخرى فقد تميزت عديد المداخل بالعمارة السكنية بوجود أطر من الرخام أو الحجر تزين واجهتها، تتشكل في الغالب من دعامات يتوجها عقد نصف دائري (الصورتين 3 و4).

2.2.2–النوافذ والشمسيات:

استخدم المعمار المسلم في عمائره إلى جانب المداخل؛ النوافذ وهذا في مختلف مدن الجزائر خلال الفترة العثمانية التي اتخذت مواضع وأشكالا وأحجاما مختلفة، ومعلوم أن وجود النوافذ ومواضعها وشكلها وحجمها تتحكم فيه عوامل واعتبارات اجتماعية ودينية ومناخية ووظيفية. وعموما فقد استحدثت النوافذ لإدخال ضوء الشمس سواء المباشر أو المنعكس وللسماح بمرور الهواء بالإضافة إلى الرؤية[9]. تراوح حجمها بين المتوسط والكبير، أخذت أحيانا شكلا مربعا وأحيانا أخرى الشكل المستطيل.

روعي في تصميمها مبدأ التناظر، كما خضعت لترتيب متناسق الأجزاء، وخلافا لقصور ومساكن مدينة الجزائر غير الريفية خاصة؛ فإن النوافذ فتحت كثيرة وواسعة أحيانا في مدن أخرى كوهران مثلا وذلك استنادا على الأصيلة منها، ومن ذلك قصر الباي محمد الكبير وقصر الباي مصطفى المسراتي بالقصبة، ويبدو ذلك راجع إلى ارتفاع مستوى الأرضية التي بني عليها القصران، إضافة إلى احتلالهما لموقع يجعل ساكنيه في منأى عن أعين المارة. وهو ذات التقليد الذي درج عليه المعمار في بناء الدور الريفية حيت تميزت نوافذها بالاتساع من جهة، والكثرة من جهة أخرى لوقوعها وسط البساتين وبعيدة عن الأنظار[10].

(9) – يحي وزيري، **العمارة الإسلامية والبيئة**، عالم المعرفة، عدد 304، جوان 2004ص. 123.

(10) – زكية راجعي، **مساكن الفحص**..، ص. 176.

وينبغي أن نسجل هنا أن نوافذ المساكن التي تفتح على الخارج نادرة وضيقة، ليس فقط بمدن الجزائر إنما في معظم المدن بالمغرب الإسلامي[11]، وتستمد الغرف نورها من الصحن عبر تلك التي تفتح عليه حيث عددها أكثر ومساحتها أوسع[12].

وكانت النوافذ – عادة – مسيجة بشبابيك معدنية من الحديد أو البرونز بما في ذلك التي تفتح على الداخل. وقد يكون الهدف من هذه الشبابيك – إضافة إلى دورها التزييني – وقاية البيت من سطو اللصوص وأيضا تجنيب الأطفال أو النساء أو كل شخص من السقوط، بينما يجلس في النافذة لرؤية المناظر الخارجية وهي وظيفة إضافية أخرى[13].

وكانت النوافذ في الغالب ذات شكل مربع ومعقودة بعقد إهليليجي، ويبلط عمقها أحيانا بمربعات من الخزف كما كانت تؤطر تلك المقابلة للصحن بشريط من المربعات الخزفية وهو مما يساعد في تنظيفها بيسر (الصورتين 5 و6).

وإلى جانب النوافذ استخدم المعمار المسلم في ذات الفترة الشمسيات[14]؛ وهي عبارة عن فتحات ضيقة ذات عقد نصف دائري مغشاة بالجص المخرم والمعشق بالزجاج الملون، وكان القصد من استخدامها هو تخفيف نسبة الإشعاع الحراري المركز المتسرب إلى داخل الغرف وتزويدها بنور ملون مشع[15]، وقد عرفتها العديد من البلاد الاسلامية مع اختلاف في الشكل والحجم والعدد والزخرفة[16].

مع العلم أنها كانت تتخذ في قصور ودور مدينة الجزائر عادة مواضع محددة، فنجد واحدة فوق الباب المحوري لكل غرف الدار المحيطة بالصحن وواحدة فوق كل نافذة غرفة تكتنف الباب المحوري، كما نجد أيضا شمسية واحدة فوق كل خزانة جدارية موازية لحائط تلك النوافذ والأبواب وثلاثة منها في أواوين الغرف، وأحيانا قد نجد ثلاثة فوق باب الغرفة المحوري (الصورتين 7 و8) وواحدة تعلو نوافذ الغرف المشرفة على الصحن. ونفس الأمر تكرر بدور مدينة وهران تقريبا،

(11) - Marçais, G**. L'architecture musulmane d'Occident ; Tunisie Algérie Maroc Espagne Sicile,** Arts et Métiers graphique, Paris, 1954, P.443.

(12) – علي بوتشيشة، **المرجع السابق**، ص. 330.

(13) – رشيد بورويبة وآخرون ، **الفن المعماري الجزائري**، سلسلة "الفن والثقافة"، مطبعة التاميرا، مدريد– إسبانيا، 1970، ص. 50.

(14) – يطلق البعض ومنهم يحي وزيري على هذه الفتحات تسميتين اثنتين وهما الشمسية والقمرية، أما الشمسيات فهي حسبه تلك النوافذ التي تعشق بالحجر أو الرخام أو الجص المفرغ، وأما القمريات فهي الفتحات الضيقة التي تستحدث فوق المداخل والنوافذ أو أعلى الجدران يملأ فراغها هي الأخرى بالجص أو الرخام أو الحجر المخرم. **أنظر** : – يحي وزيري، **موسوعة عناصر العمارة الاسلامية** ، الجزء 1، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1999م ص. 65

(15) – محمد الطيب عقاب " المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر" المؤتمر العاشر للآثار بالبلاد العربية، تلمسان، وزارة الثقافة، نوفمبر، 1982م، ص16.

(16) – أنظر : – يحي وزيري، **العمارة الاسلامية والبيئة**، ص. 180.

إلا أنه لاحظنا بأحد مساكن مدينة وهران التي ترجع إلى الفترة العثمانية[17] أن عدد الشمسيات التي تعلو مداخل الغرف المحورية وصل إلى أربعة، ونفس الأمر لاحظناه بدار الباي إبراهيم بنفس المدينة[18].

وللمحافظة على الزجاج الذي يغشى الشمسيات الكبيرة للقباب قدر الإمكان نظيفا سواء بالمساجد أو القصور أو الحمامات؛ أحاط المعمار كل واحدة من الخارج بحافة عُليا تحميها من الأتربة المتساقطة وبالإضافة لهذا الدور الوظيفي كان لها أيضا دورا زخرفيا حيث أعطت للقباب شكلا جميلا[19].

3.2.2- الأعمدة والدعامات :

تتكون عناصر الدعم من دعامات وأعمدة، استعملت أحيانا منفردة وأحيانا استعملت جنبا إلى جنب، غير أنه غلب استعمال الأعمدة في العمارة السكنية بمدن الجزائر خلال العهد العثماني، أما الدعامات فجاء استخدامها في نطاق جد ضيق وبشكل مدمج مع الحوائط.

ومن أهم الأعمدة التي استعملت نجد العمود المركب المصنوع من الرخام؛ نصفه السفلي مثمن الاضلاع ونصفه العلوي حلزوني (الصورة 10). استعمل هذا النوع من الأعمدة كثيرا خلال الفترة العثمانية سواء في العمارة الدينية أو العمارة المدنية وفي مقدمتها العمارة السكنية ولاسيما القصور والدور المنتشرة في مدينة الجزائر[20]، وبشكل أقل في مدينة وهران[21]، كما استخدم في مساكن مدينة مليانة لكن مادة صنعه جاءت من الحجر الكلسي وليس الرخام[22]، أما في بعض المدن الأخرى فكان قليلا وأحيانا منعدما على غرار البليدة وقسنطينة والمدية[23]، وكان عادة ما يستخدم منه في الأروقة المحيطة بالصحون لاسيما أروقة الطابق العلوي حتى يمكن تثبيت الدرابزين في جزءه المضلع.

استوردت هذه الأعمدة على الأرجح من ايطاليا التي كانت تعرف آنذاك نهضة حضارية واسعة، نتيجة لقيام علاقات تجارية بينها وبين الجزائر والتي – بدورها – كانت تملك أسطولا بحريا كبيرا[24].

---

(17) – يقع هذا المسكن إلى الغرب من ساحة الجوهرة بنهج محمد لوز (شاراز سابقا) يحمل الرقم 5.

(18)– علي بوتشيشة، **المرجع السابق**، ص. 331.

(19) – **نفسه**.

(20) – **أنظر** : – محمد الطيب عقاب ، **قصور مدينة الجزائر...**، ص128، 129. و– جميلة جلال، **الأعمال المعمارية للداي مصطفى باشا في مدينة الجزائر وضواحيها من خلال وثائق الأرشيف والمعالم القائمة**، مذكرة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011–2012، ص. 205–206.

(21) – علي بوتشيشة، **المرجع السابق**، ص. 337.

(22) – عبد القادر قرمان، **المرجع السابق**، ص. 142.

(23) – **أنظر** على سبيل المثال :– سعاد بن شامة، **المرجع السابق**، ص. 187. وعبد القادر دحدوح، **المرجع السابق**، ص. 617. ونصيرة تتبيرت، **المرجع السابق**، ص.56.

(24) – علي بوتشيشة، **المرجع السابق**، ص.338.

أما النوع الثاني من الأعمدة فيتكون من أبدان ملساء أسطوانية الشكل – بعضها يسلب من أسفل إلى أعلى، نميز فيه مجموعتين من حيث مادة الصنع؛ فالمجموعة الأولى مشكلة من الرخام (الصورتين 9 و13)، أما المجموعة الثانية من الأعمدة فمصنوعة من الحجر الكلسي تتميز بضخامتها وقصر طولها، تحمل تيجانا بسيطة في مظهرها تتميز– عموما – بالضخامة وقلة الذوق الجمالي، وقد شاع استعماله في الجزائر خلال العهد العثماني والعهود التي سبقت (الصورة 12).

كما عرفت الجزائر نوعا ثالثا من الأعمدة وهو الحلزوني، انتشر خاصة في مساكن مدينة الجزائر، وأكثر ما نجده في أروقة الطابق الأرضي المحيطة بالصحن، غير أنه في بعض دور مليانة استخدم في الطابق العلوي، كما وجدناه أيضا مستخدما فوق دكّات (مقاعد) السقائف (الصورة 11).

وبالإضافة إلى هذه الأنواع الثلاثة الشائعة من الأعمدة فقد عرفت المساكن استخدام أنواع أخرى، ومنها العمود ثماني الأضلاع الذي عرفته مدينة مليانة[25]، والعمود رباعي الأضلاع والعمود مثمن الأسفل وأسطواني الأعلى وكلاهما استخدما في بعض دور قسنطينة[26]، إلا أنها كانت هذه الأنواع الثلاثة –عموما– أقل انتشارا إن لم نقل نادرة.

أما تيجان الأعمدة فتعددت بتعدد هذه الأخيرة، إلا أن الاكثر ترددا في العمارة السكنية كان التاج الكورنثي المشكل غالبا مع البدن من الرخام والمستورد من إيطاليا (الصورة 14)، إضافة إلى التاج المحلي ذي الزخارف البسيطة الذي يحمل بعضه ملامح الطراز المغربي الأندلسي من خلال مراوحه المعقوفة (الصورتين 15 و16)، أما قسنطينة فعرفت إلى جانب هذين النوعين نوع آخر مستمد من الطراز الحفصي بحكم عامل الجغرافيا والتاريخ.

4.2.2– العقود

عرفت العمارة السكنية في الجزائر خلال العهد العثماني أنواعا مختلفة من العقود تجمع بين الأغراض الوظيفية والزخرفية، وكان كل نوع يستخدم في أماكن محددة في الغالب، وأبرز هذه العقود هي :

أ– العقد المنكسر المتجاوز:

يعد أحد أهم العقود التي انتشرت في الجزائر خلال العهد العثماني حيث عرفته مختلف العمائر دون استثناء؛ الدينية والمدنية والعسكرية. وحسب الأستاذ غولفان (Golvin) فان العقد المنكسر المتجاوز ظهر جليا في قصر

[25]– عبد القادر قرمان، **المرجع السابق**، ص.142.

[26]– عبد القادر دحدوح، **المرجع السابق**، ص. 617.

الأخيضر[27]، كما ظهر بعد ذلك بجامع القيروان في عهد الأغالبة[28]، وقد شاع استعماله في عهود الموحدين والمرينيين والزيانيين وعنهم ورثته الجزائر خلال العهد العثماني، ونال من الإقبال والشهرة بمثل ما ناله من قبل وربما أكثر، إذ استخدم – تقريبا – في جميع مساجد تلك الفترة[29]. وعنه يقول الأستاذ فريد شافعي:" ومما يستوقف النظر أن هذا النوع لم ينتشر في العمارة العربية في الشرق الإسلامي مثلما انتشر في الغرب الإسلامي، الذي يمكن القول أنه هاجر إليه منذ العصر الإسلامي المبكر، وأصبح من أشهر مميزات العناصر الإسلامية هناك"[30]، وتناوب الحجر والآجر في تشكيل فقراته (صنجه) وما لبث أن ظهر في بطنه ومختلف أجزائه المقرنصات الحجرية والجصية[31].

في العمارة السكنية بالجزائر خلال الفترة العثمانية وجدناه مستخدما في الأروقة سواء الأرضية أو العلوية، وفي مداخل الغرف، وفي الفتحات الكبرى التي تفصل بين الأواوين والغرف، وفي مداخل القصور الرئيسية، وفي الأروقة المشرفة على الأفنية والحدائق (الصورتين 17 و18).

ب– العقد النصف الدائري:

من بين أهم العقود التي عرفتها الجزائر خلال العهد العثماني نجد العقد نصف الدائري، وكان هذا العقد هو المستعمل في صدر الإسلام[32]، وذلك قبل الشروع في استعمال أشكال أخرى من العقود، حيث استخدم في قبة الصخرة والمسجد الأقصى وجامع دمشق والمسجد النبوي خلال الفترة الأموية[33]، كما استخدم في قصر الحير الشرقي[34]، ثم قلّ استعماله في العهود التي تلت لظهور أنواع جديدة من العقود عمت المشرق والمغرب على حد سواء[35]، ونميز في هذا العقد نوعين؛ غير المتجاوز والمتجاوز، هذا الأخير ظهر في المغرب الإسلامي لأول مرة بجامع قرطبة[36] ثم في

(27) – Golvin , **Essai sur l'Architecture religieuse musulmane ; Généralités**, , Tome 1, Edition Klincksieck, Paris, 1970, T.1, P.92.

(28) - Golvin,L, **OP. CIT.** P. 92. و **انظر** : - .Marçais,G.,**OP.CIT.** P.19

(29) – Dokali, R**, Les Mosquées de la période turque à Alger**, S.N.E.D, Alger, 1974. P.45.

(30) – فريد شافعي ، **العمارة العربية في مصر الإسلامية (عصر الولاة)**، المجلد الأول، الهيئة المصرية للكتاب، 1970، ص206.

(31) – جمعة أحمد قاجة، **موسوعة فن العمارة الاسلامية**، دار الملتقى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2000م، ص. 336.

(32) – سامح كمال الدين، **العمارة الإسلامية في مصر**، الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة، 1983م، ص80.

(33) - Golvin, L. **OP.CIT**. P.83.

(34) – يحي وزيري، **موسوعة عناصر العمارة الاسلامية**، الجزء 2، ص. 61.

(35) – غيلان حمود غيلان، **محاريب صنعاء حتى أواخر القرن 12هـ/18م**، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م، ص. 189.

(36) – استخدمت الأندلس خلال الفترة الأموية العقد النصف الدائري المتجاوز ونجده في عقود الجامع السفلية وهو يعتبر من العقود التي شاعت في عمارة الأندلس. – Barrucard et Bednorz, **L'architecture maure en Andalousie**, P.M.L.Edition et Taschen, Almagne, 1995, P. 42

القيروان[37]. كما كثر استعماله في قلعة بني حماد ثم في العهود التي تلت. أما في عمائر الجزائر خلال الفترة العثمانية فكان استخدامه محدودا.

وقد استخدم هذا العقد في مساكن مدن الجزائر في أماكن – أيضا – معينة، مثل مداخل السقائف وأبواب المرافق المعيشية وكذلك في أبواب بداية ونهاية السلالم وفي المداخل الثانوية (الصور 3 و4 و19). أما من حيث مادة بناءه فوجدنا منه المشكل كلية من الرخام ومن الحجر الكلسي، كما استخدم في بناءه الحجارة، إلا أن أكثره بني بالآجر.

ج- العقد الجزائري:

تعددت أسماء هذا العقد كثيرا، سماه الأستاذ بورويبة بالعقد نصف الإهليليجي وسماه الأستاذ مارسي بعقد مقبض القفة، فيما سماه الأستاذ عقاب بالعقد المفلطح أو المستطيل، وسمته الأستاذة راجعي بالعقد المستعرض، بينما ذكره الأستاذ دحدوح باسم العقد الجزائري، وهذا ما نميل إليه باعتباره ظهر في الجزائر وانتشر بين عمائرها – دون البلاد الأخرى- خاصة المدنية منها.

ويبدو أنه ليس من السهل التعرف على أصله كما يجهل أيضا موطنه الأم، إلا أن الأستاذ مارسي (Marçais) أشار إلى ما يشابهه في عمائر شبه جزيرة البلقان المشيدة في نهاية القرن السابع عشر ميلادي/ الحادي عشر الهجري[38]، دون أن يقدم أدلته على ذلك، مع العلم أنه ظهر في الجزائر قبل ذلك- حسب الأستاذ دوكالي- وبالتحديد خلال القرن السادس عشر/العاشر الهجري[39].

يعتبر من العقود التي تميزت بها العمائر بالجزائر خلال العهد العثماني وخاصة المدنية منها وفي مقدمتها العمائر السكنية، أما العمائر الإسلامية فقد خلت منه، ونشير هنا أن الإقبال على هذا العقد كان كبيرا في الدور والقصور في الجزائر خلال العهد العثماني، بل وأصبح سمة من سماتها البارزة، عكس العمارة الدينية التي لم ينتشر فيها كثيرا[40].

ونجد هذا العقد غالبا في أماكن محددة وفي جميع دور وقصور الجزائر خلال الفترة العثمانية، والمتمثلة خاصة في الخزائن الجدارية وفوق النوافذ المقابلة للخزائن الجدارية وتلك المشرفة على الصحون وأعلى مقاعد السقائف وأحيانا تلك التي تكتنف السلالم الرئيسية (الصورتين 5 و20).

(37) - Golvin, L**, OP.CIT**. PP 83-85.

(38) - Marçais, G, **OP. CIT.**, P. 450.

(39) - Dokali, R**, OP. CIT**., P. 50.

(40)- علي بوتشيشة، **المرجع السابق**، ص. 348.

5.2.2- عناصر التسقيف:

استخدم المعمار في العمائر السكنية خلال فترة الحكم العثماني أنواعا عدة من التسقيف بغية تغطية الفراغات الناتجة عن تشييد المباني، منها القباب والأقبية بأنواعها إضافة إلى السقوف المسطحة.

أ- القباب:

تعدّ القباب واحدة من أهم عناصر التسقيف التي استخدمها المعمار المسلم في المباني عموما. خلال الفترة العثمانية، هيمنت القبة – ثمانية الأضلاع ذات الأصول المغربية الأندلسية وأضحت تؤدي دورا أهم بكثير من الدور الذي أدته من قبل[41].

وإن كان مستحيلا – وفق الأستاذ غولفان – التدقيق في تاريخ ظهور القبة في العمارة الإسلامية فإن الأكيد هو وجودها بقبة الصخرة منذ إنشاء هذا المعلم (72هـ/691م)، كما وجدت بجامع دمشق (87هـ/706م) والمسجد الأقصى[42]، وذلك في أعلى المساحة التي تتقدم المحراب تأكيدا على قدسيته وأهميته، ولم يقتصر استخدام القباب في العمارة الدينية على المساجد بل تعداها إلى المدارس والأضرحة وغيرها[43].

ويعود ابتكار القبة إلى جانب الأقبية إلى حضارة وادي الرافدين لتخفيف شدة الجو الحار، لأن السقف المقبب يسمح للهواء الساخن بالارتفاع أكثر من السقف المستوي ويخفف بالتالي من درجة الحرارة[44].

وكان لاستخدام القباب في العمارة الاسلامية تصورا فريدا؛ فهي إلى جانب دورها الوظيفي المعروف، كانت لها رمزيتها الخاصة حيث مثلت لدى المسلمين صورة مصغرة لقبة السماء[45]، كما دلت على الطهارة والصلاح[46].

أما أول قبة ظهرت ببلاد المغرب فكانت بجامع القيروان، وقد أقيمت أمام المحراب في عهد زيادة الله الأغلبي، وتعتبر من أهم الظواهر المعمارية بهذا الجامع، وتوجد قبة ثانية مقابلة لها عند نهاية البلاطة المحورية، وهي المسماة

---

(41)- **نفسه**، ص. 351

(42) - Golvin,L. **OP.CIT**. P.122.

(43) – يحي وزيري، **موسوعة عناصر العمارة الاسلامية**، الجزء 2، ص. 79.

(44) – حميد محمد حسن الدراجي،"أثر المناخ على عمارة وتخطيط البيت التراثي العراقي"، وقائع ندوة العمارة والبيئة، بغداد، 3 شعبان 1422هـ/18 تشرين الثاني 2001م، ، ص.88.

(45) – يحي وزيري، **موسوعة عناصر العمارة الاسلامية**، الجزء 2، ص. 79.

(46) – أحمد فكري، **المسجد الجامع بالقيروان**، مطبعة المعارف، القاهرة، 1936م ص. 99.

بقبة البهو، وقد بناها الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد[47]. كما تعد القبة التي تعلو محراب جامع الزيتونة إحدى أقدم قباب بلاد المغرب التي بنيت العام 250هـ/ 864م[48].

وظهرت القبة المضلعة (ذات العروق) لأول مرة بجامع قرطبة (364هـ/965م)، وقد تجسد التأثير الأندلسي جليا في قبة جامع تلمسان[49]، والتي بدورها تعتبر أول قبة مضلعة تظهر ببلاد المغرب[50].

أما القبة ذات الأخاديد فظهرت بجامع القيروان وتونس، ونجد هذا النوع من القباب خلال الفترة المرابطية بتلمسان في محراب الجامع وحمام الصبّاغين، هذا الأخير كان النموذج الذي احتذاه الزيانيون في قبة سيدي إبراهيم[51]. ومن أنواع القباب الأخرى نجد القبة ذات الشكل المخروطي الذي عرفته الأضرحة بصفة خاصة[52]. وعموما فقد انتشرت أكثر في بلاد المغرب القباب نصف الكروية الخالية من الزخارف الخارجية إلا نادرا، غير أن الإقبال على هذا العنصر المعماري لم يكن بنفس الزخم كما كان الحال ببلاد المشرق[53].

وقد لعبت القبة – كما يقول كمال الدين سامح:" دورا هاما كعنصر من عناصر العمارة الإسلامية في زخرفة وتصميم المنشآت المعمارية المختلفة واتخذت في كل إقليم طابعا خاصا يميزها ويحدد تاريخ إنشائها"[54].

ولقد اقتصر استخدام القبة في مساكن وقصور الفترة العثمانية عادة على أماكن محددة دون غيرها، أبرزها القاعة الحارة للحمام الملحق بالدور، وأواوين الطوابق الأولى، وبداية ونهاية السلالم التي تُفضي إلى السطح، كما قد نجدها عند نقطة تعامد (تقاطع) أروقة الصحون. أما عن مادة بناءها فكانت غالبا من الآجر (الصورة 21).

وتؤدي القبة دورا معماريا هاما، يتمثل في التغطية والتقليل من الضغط الحراري على الفراغات الداخلية، لأنها تتعرض لأشعة الشمس كاملة كما هو الحال بالنسبة إلى السطح الأفقي، لأن شكلها الانسيابي يساعد الجزء المظلل بعد

---

(47) – **نفسه**، ص. 87 و88.

(48) – علي بوتشيشة، **المرجع السابق**، 350.

(49) – لم يبق لدينا من الفترة المرابطية إلا القبة التي تتقدم محراب جامع تلمسان، أول قبة من هذا النوع في بلاد المغرب وهي مستوحاة من قبة جامع قرطبة وباب مردوم الذي له تسعة قباب مضلعة، ويبدو أن الأثريين كلهم –حسب بورويبة– مجمعون أن القبة ذات العروق أصلها فارسي لأنه توجد في المعالم الساسانية، وهي مستعملة في إيران إلى اليوم.– Bourouiba, R. **L'Art religieux musulman en Algérie,** S.N.E.D.,Alger, 1973, P.85.

(50) - **Ibid** , P.85.

(51) – **Ibid.**, P.123.

(52) – جمعة أحمد قاجة، **المرجع السابق**، ص. 345.

(53) – **نفسه**، ص. 344.

(54) –كمال الدين سامح ، **العمارة الإسلامية في مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، القاهرة، 1983م ، ص95.

هبوب نسمات الهواء المنعشة على التخلص من الهواء الحار والجاف[55]، كما أن شكلها يجعل المياه في موسم الأمطار تتحدر بصورة انسيابية دون أن تؤثر سلبا على السقف، بينما السطح المستوي إذا ما تشبع ببخار الماء ترتفع به درجة الرطوبة – مما يؤدي ربما إلى انهيار السقف على المدى البعيد. كما أن بناء القبة يقصد من وراءه الحصول على عدد من التكوينات الإنشائية والمعمارية بهدف قطع الملل عن الناظرين وجلب انتباههم إلى ما هو مختلف التكوين من العمارة[56].

ومهم أن نؤكد أن المعماريين في العصر العثماني اشتهروا بولعهم بالقباب فاستخدموها بشكل واسع في مختلف مبانيهم و" قد أضفى هذا التغالي في استعمال القباب على الطراز العثماني شخصية مميزة وطابعا مرموقا بين طرز العمارة عامة والطرز الإسلامية خاصة"[57].

ب- الأقبية المتقاطعة:

كان المعمار الجزائري – عادة – ما يستخدم الأقباء المتقاطعة لتغطية السقائف والمطابخ والسلالم، وقد نظيف إليها أحيانا بيوت الغسيل وبعض المخازن والصهاريج والممرات[58] (الصورة 22). وتكمن أهمية هذا النوع من السقف في توزيعه الثقل على نقط ارتكاز ثابتة ومتباعدة دون أدنى تحميل على الجدران القائمة بين هذه النقط[59].

خلال الفترة العثمانية بالجزائر غُطيت به السقائف إضافة إلى المرافق المعيشية كالمطابخ وبيوت الغسيل والمراحيض وبعض المخازن والصهاريج على غرار العمائر السكنية للداي مصطفى باشا وبيوت الفحص بمدينة الجزائر، وفي حالات قليلة سقفت به بعض الأروقة والغرف[60]، كما غطيت به أحيانا السلالم على غرار دور مدينة مليانة[61].

ومن المعروف أن الأقبية المتقاطعة ظهرت منذ العصور القديمة حيث عرفتها بلاد الرافدين ومصر في العهد الفرعوني[62]، وقد عرفتها العمارة الرومانية وأضحت عنصرا من عناصرها، ثم انتقلت إلى العمارة السورية قبل الإسلام ومنها إلى العمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي[63].

(55) – محمد الطيب عقاب،" المدخل إلى المسكن... ، ص16.
(56) – محمد الطيب عقاب ، **قصور مدينة الجزائر**...، ص147.
(57) – عاصم محمد رزق، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2000م، ص227.
(58) – **أنظر** : – زكية راجعي، **مساكن الفحص**...، ص. 167.
(59) – عاصم محمد رزق، **المرجع السابق**، ص232.
(60) – جميلة جلال، **المرجع السابق**، ص.203. و **أنظر** :– زكية راجعي، **مساكن الفحص**...، ص. 176.
(61) – عبد القادر قرمان، **المرجع السابق**، ص. 165.
(62) – فريد شافعي، **المرجع السابق**، ص115.
(63) – عاصم محمد رزق، **المرجع السابق**، ص235.

ج- الأقبية نصف البرميلية:

لقد استخدم نوع ثالث من السقوف وهو الأقبية نصف البرميلية وجاء استخدامها متفاوتا بين العمائر. ويبدو أن استخدام القبو البرميلي في التسقيف راجع أساسا إلى سهولة بناءه وقدرته على تحمل الثقل والضغط وتوزيعهما توزيعا متساويا على الجدران[64].

ولعل هذا النوع من السقف كان يفضل استخدامه في تغطية المساحات الضيقة كالممرات والغرف الضيقة المستطيلة ولم يكن شائعا في عمائر الجزائر خلال الفترة العثمانية، ومع ذلك فقد استخدم في بعض مساكن الفحص بمدينة الجزائر، لكن انحصر وجوده في القليل من الحجرات والمخازن والأروقة[65]، وفي دار مصطفى باشا بحي رياس البحر سقف به الاسطبل[66]، كما استخدم في الحمامات وعلى نطاق أوسع هذه المرة؛ حيث غطيت به الكثير من القاعات الدافئة وبعض الأروقة الداخلية[67].

ويعود استخدامه من قبل المسلمين إلى بداية القرن الثالث الهجري حيث وجد بجامع سوسة بتونس، ومنها انتقل إلى مصر عن طريق الفاطميين ليعرف انتشاره في بلاد المغرب والمشرق فيما بعد[68]، إذ استعمله الحماديون في العديد من مبانيهم ومن ضمنها الجامع وقصر المنار، كما استعمله من بعدهم المرابطون والموحدون ثم استعمله المرينيون والزيانيون في منشآتهم ومنها تلك التي أقاموها بالمنصورة وتلمسان[69].

وقد كان استخدام الأقبية الأسطوانية معروفا لدى المسلمين وخاصة في العهد العباسي، كما استخدمته تونس منذ القرن 3هـ/9م، وربما قبل ذلك كما يعتقد غولفان[70]. وحسب الأستاذ بورويبة فإن هذه الأقبية لم تظهر في الجزائر إلا في مسجد سيدي إبراهيم – حيث استخدمت في تغطية أروقة الصحن – وفي الجامع الجديد[71].

(64) – فريد شافعي، **المرجع السابق**، ص. 198 و199.

(65) – زكية راجعي، **مساكن الفحص**...، ص. 167

(66) –جميلة جلال، **المرجع السابق**، ص. 203

(67) – **أنظر** : - – **حضري، عز الدين**، حمامات القرن الثالث الهجري/التاسع عشر ميلادي بمدينة البليدة، رسالة ماجستير، معهد الآثار جامعة الجزائر، 2009/2008م،ص. 86. و- عبد القادر دحدوح، **المرجع السابق**، ص. 631.

(68) – عاصم محمد رزق، **المرجع السابق**، ص. 232.

(69) – عبد العزيز لعرج، **المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية**، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 1999م، الجزء 2، ص.ص.601-604.

(70) - Golvin, L.**OP.CIT**., P.168.

(71) Bourouiba,Rachid, **Apports de l'Algérie à l'architecture religieuse arabo-islamique**, O.P.U.,Alger, 1987, P.261.

د- الأسقف الخشبية :

خلال الفترة العثمانية عمّ استخدام الأسقف المستوية في تغطية المباني الدينية والمدنية على حد سواء وفي الكثير من مدن الجزائر وهو ما فرض وجود الأسطح. وقد لا يرجع ذلك إلى ندرة في الخشب – حسب اعتقادنا – بل إلى عوامل أخرى قد يكون المناخ واحدا منها.

حيث تتميز المناطق الشمالية للجزائر عموما بقلة الأمطار خاصة الغربية منها، ومع ذلك يبدو أن المناخ لم يكن العامل الرئيسي في استخدام الأسطح المستوية خصوصا إذا علمنا أن هذه الأخيرة أدت دورا وظيفيا مهما لاسيما في قصور ودور الجزائر التي تعود إلى الفترة العثمانية.

وقد استخدم السقف الخشبي بالعمائر السكنية خلال العهد العثماني- إضافة إلى القباب والأقبية – وذلك لتغطية الفراغات الذي تتميز بالاستواء.

في بعض المدن لاسيما الداخلية منها على غرار عاصمة بايليك الشرق قسنطينة؛ سُقفت العديد من مبانيها خلال نفس الفترة بسقف هرمية مغطاة بالقرميد أدى بالضرورة إلى غياب الأسطح، والأمر نفسه نراه بالمدية وملیانة حيث غطيت مبانيها بسقف جمالونية، ويبدو أن العامل المناخي كان له الدور الأبرز في فرض هذا النوع من السقف، باعتبار أن مدينة قسنطينة – وهي مدينة شرقية – تشهد نسبة تساقط أكبر من غيرها من مدن الوسط أو الغرب مما لا يسمح ببناء السطوح، أما مدينة المدية وملیانة حتى وإن كانت بها نسبة تساقط الأمطار أقل، باعتبارهما يقعان في منطقة وسط البلاد، إلا أنهما يشهدان في الشتاء – على غرار قسنطينة- تساقط كميات كبيرة من الثلوج مما قد يؤدي إلى انهيار المبانى في حال تراكمها على السطوح[72].

وعموما فقد أدت السطوح في الدور والقصور أدوارا عديدة سواء للجلوس والسمر أو للنوم عليها خلال ليالي الصيف الحارة، كما كانت مكانا رحبا تلتقي من خلاله المرأة مع جاراتها لتبادل أطراف الحديث، وأحيانا كانت تستغل للقيام ببعض الأعمال المنزلية على غرار تجفيف بعض المواد الغذائية أو الملابس[73].

ومهما يكن فان السقف بأنواعه يعتبر أحد العناصر المعمارية الخاضعة لمنطق التطور على غرار القباب والمآذن والعقود والتي تباين دورها وشكلها ما بين فترة وأخرى.

---

(72) – في العام 1833م شهدت مدينة دمشق سقوط كميات كبيرة من الثلوج على غير العادة أدت إلى تهدم العديد من مبانيها التي تعود إلى الفترة العثمانية بسبب ثقل الثلج المتراكم فوق أسطحها، وهو الأمر الذي يفسر استخدام الأسقف الجمالونية في المناطق التي تشهد باستمرار تساقط كميات معتبرة من الثلوج سواء في الجزائر أو غيرها. **أنظر** :- ناصر الرباط، **ثقافة البناء وبناء الثقافة**، رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2002م ، ص.240 و241.

(73) – علي بوتشيشة، **المرجع السابق**، ص. 356.

6.2.2-السلالم:

شكلت السلالم عنصرا مهما من بين العناصر المعمارية في العمارة الإسلامية بالجزائر خلال العهد العثماني لاسيما الدينية منها، إذ لم يخلو منه أي معلم من معالمها، وفي المقابل قل استخدامه أو انعدم ببعض العمائر المدنية وخصوصا الحمامات لعدم الحاجة إليه (الصورتين 23 و24).

ويرتبط وجود هذا العنصر المعماري – الذي يضمن الحركة الرأسية – عادة بوجود أدوار علوية أو حتى سفلية، وهو يتكون من عناصر مهمة يأتي في مقدمتها بئر السلم وهو الفراغ الذي تشغله السلالم ثم الدرجات المكونة من القوائم والنوائم إضافة إلى البسطات أو الاستراحات، وهي المساحة التي تربط بين سلسلتين من الدرجات.

وكان الغرض من استخدام السلم تسهيل الحركة والانتقال من طابق إلى طابق أو من مكان منخفض إلى مكان مرتفع أو العكس. وقد يتشكل السلم من بعض الدرجات فقط كما قد يتشكل من عشرات الدرجات، ومنه ما يتخذ شكلا مستقيما ومنه ما يكون منكسرا أو ملتفا أو دائريا (لولبيا)، وقد يأخذ أحيانا اتجاها موازيا لاتجاه عقارب الساعة وأحيانا أخرى يسير عكس عقارب الساعة. أما من حيث مواد بناءه فهي لا تختلف عن المواد المستخدمة في مختلف العمائر عامة وهي الآجر والحجارة والملاط والرخام والخشب وغيرها، وفي حالات قليلة يشكل السلم من الخشب دون سواه من المواد. وعلى غرار مختلف القاعات والغرف والأروقة والممرات وغيرها فقد سقفت السلالم بالسقف الخشبية المستوية وبالأقبية وأحيانا بالقباب عند الأركان.

لا تؤدي السلالم في العمارة المدنية بالجزائر ذلك الدور الهام الذي تؤديه في عمارة المساجد والمدارس، ويقتصر وجودها في الغالب على العمارة السكنية من الدور والقصور المكونة من أكثر من طابق، وهي تتميز عموما ببساطة تشكيلها المعماري كما تتميز باتساعها عكس سلالم المآذن، وقد تضم بعض المساكن أكثر من سلم وفقا لمساحتها وتعدد أجنحتها ومرافقها، فالسلالم الرئيسية عادة ما تقع عند أحد أركان الأروقة، ذات مدخل عند بدايتها وعند نهايتها، تتسم بالاتساع وبنسبها الإنسانية، وكانت تُكسى نوائم درجاتها بالرخام أو الأردواز أو بلاطات من الآجر بينما تكسى قوائمها أحيانا بالزليج[74]، وتسقف بالأقبية المتقاطعة وأحيانا بالأوتاد الخشبية، أما السلالم الفرعية فعادة ما يرتبط وجودها بالمرافق المعيشية حيث تتميز بالضيق وبالبساطة في مواد تشكيلها ومغطاة بأوتاد أو روافد خشبية، ومن جهة أخرى كان الفراغ الناتج في نواة السلم عادة ما يستغل كمخزن. وجُهزت هذه السلالم الرئيسية أحيانا بمقاعد للاستراحة، وقد نجد أحيانا كوات محفورة في جدران هذه السلالم تستخدم لوضع القناديل أو التحف التزيينية.

(74)- Samia Achab Chernai, **Elaboration d'un guide technique de réhabilitation du patrimoine (Habitat) de la période ottomane**, Mémoire de Magister, Université Mouloud Mammeri de Tizi-ouzou, département d'Architecture, 2011-2012 , P. 33.

3. خاتمة:

لقد تخلف عن الفترة العثمانية بالجزائر عديد العمائر السكنية مما تعد من الشواهد الاثرية الهامة التي منها نستقي الخصائص المعمارية والفنية لعمائر تلك الفترة. وبالحديث عن العناصر المعمارية للمسكن عامة فإننا يمكن القول أنها تطورت في إطار روح الإسلام ومبادئه، ولم تخرج عن هذا الإطار وفي مختلف الفترات والأمكنة، ومن ذلك الفترة العثمانية بالجزائر، ولم يكن الاختلاف إلا في بعض التفاصيل التي فرضتها ضرورة التطور إضافة إلى بعض التأثيرات الوافدة مع العثمانيين. هذا الأمر يجعلنا نجزم أن العمارة الاسلامية بوحداتها وعناصرها المعمارية والفنية هي كل متكامل، تميزت من بين أهم ما تميزت به الوحدة والتنوع.

ملحق الصور

صورة 1

صورة 2

المدخل الرئيسي لدار الرايس حميدو (عن راجعي) المدخل الرئيسي لدار مصطفى باشا بالقصبة السفلى (عن جلال)

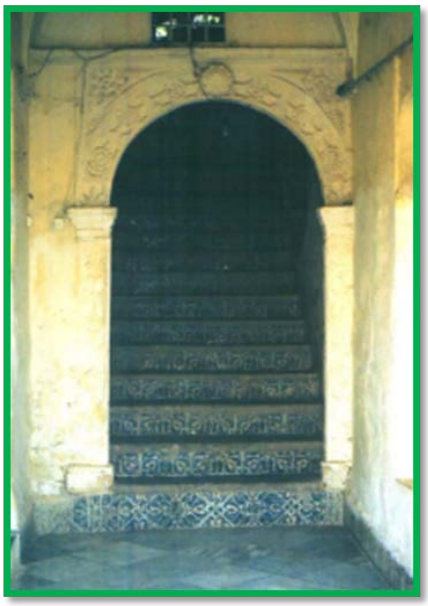

صورة 03: المدخل الرئيسي لدار مصطفى باشا بقصر رياس البحر(عن جلال)

صورة 04: مدخل السلم لدارمحي الدين بالجزائر(عن راجعي)

صورة 5/ نافذة خارجية بديوان قصر الباي بوهران (عن الباحث) صورة 6/ نافذة داخلية بدار الباي بمليانة (عن قرمان)

صورة 7

نماذج لثلاث شمسيات تعلو مداخل الغرف (عن راجعي)

صورة 8

نماذج لثلاث شمسيات بدار إقامة قصر الباي بوشلاغم بوهران(عن الباحث)

صورة 9

صورة 10

صورة 11 (عن راجعي)

صورة 12

صورة 13

صورة 14

صورة 15

صورة 16

نماذج لأعمدة وتيجان (عن الباحث)

صورة 17

عقود منكسرة متجاوزة بقصر الباي بوهران (عن الباحث)

صورة 18

عقود منكسرة متجاوزة بدار الباي بمليانة (عن قرمان)

صورة 19

عقد نصف دائري بجنان الباي بابا حسن بالجزائر (عن راجعي)

صورة 20

عقد جزائري بقصر الباي بوهران (عن الباحث)

صورة 20

قبة إحدى الغرف بدار مصطفى باشا برياس البحر (عن جلال)

صورة 21

قبو متقاطع (عن الباحث)

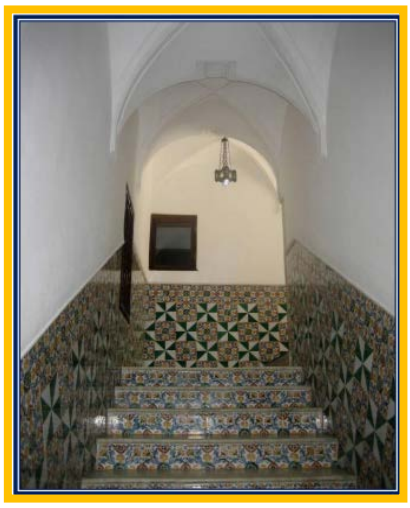

صورة 23

سلم رئيسي بدار مصطفى باشا بحي رياس البحر (عن جلال)

صورة 24

سلم رئيسي بقصر خداوج العمياء

4. المراجع البيبليوغرافية:

المراجع باللغة العربية:

- الكتب:

- **بورويبة، رشيد** وآخرون، الفن المعماري الجزائري، سلسلة "الفن والثقافة"، مطبعة التاميرا، مدريد- إسبانيا، 1970.

- **جمعة، أحمد قاجة،** موسوعة فن العمارة الاسلامية، دار الملتقى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2000م.

- **الرباط، ناصر**، ثقافة البناء وبناء الثقافة، رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2002م.

- **رزق، محمد عاصم،** معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2000م.

- **سامح، كمال الدين،** العمارة الإسلامية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، القاهرة، 1983م.

- **شافعي، فريد،** العمارة العربية في مصر الإسلامية (عصر الولاة)، المجلد الأول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1970م.

- **شالر، وليام** ، مذكراته، تعريب وتعليق وتقديم : إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

- **غيلان حمود غيلان،** محاريب صنعاء حتى أواخر القرن 12هـ/18م، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م.

- **فكري، أحمد** ، المسجد الجامع بالقيروان، مطبعة المعارف، القاهرة، 1936م.

- **وزيري، يحي،** موسوعة عناصر العمارة الاسلامية، الجزء الأول والثاني والثالث والرابع، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1999م.

- **وزيري، يحي** ، العمارة الإسلامية والبيئة، عالم المعرفة، عدد 304، جوان 2004.

- الرسائل الجامعية:

- **بلجوزي، بوعبد الله،** دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005-2006م.

- **بوتشيشة، علي**، العمارة الدينية والمدنية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2015م.

- **تتبيرت، نصيرة**، العمارة الدينية والمدنية بمدينة المدية خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008-2009.

- **جلال، جميلة**، الأعمال المعمارية للداي مصطفى باشا في مدينة الجزائر وضواحيها من خلال وثائق الأرشيف والمعالم القائمة، مذكرة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011-2012.

- **دحدوح، عبد القادر**، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في الآثار الاسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009-2010.

- **راجعي، زكية**، مساكن الفحص بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007م.

عقاب، محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1985م.

- **قرمان، عبد القادر**، المنشآت المدنية في مدينة مليانة في العهد العثماني، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2006-2007م.

- **لعرج، عبد العزيز**، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 1999م.

المقالات :

- **حميد محمد حسن الدراجي**،"أثر المناخ على عمارة وتخطيط البيت التراثي العراقي"، وقائع ندوة العمارة والبيئة، بغداد، 3 شعبان 1422 هـ/18 تشرين الثاني 2001م.

- **حضري، عز الدين**، حمامات القرن الثالث الهجري/التاسع عشر ميلادي بمدينة البليدة، رسالة ماجستير، معهد الآثار جامعة الجزائر، 2009/2008م.

- **راجعي، زكية**، "المسكن التقليدي في تركيا (خلال القرنين 17- 19م)"، مجلة آثار، العدد: 13، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2015م.

– **عقاب، محمد الطيب،**" المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر"، المؤتمر العاشر للآثار بالبلاد العربية، تلمسان، وزارة الثقافة، نوفمبر 1982م.

المراجع باللغة الأجنبية:

-Achab Chernai, **Samia** Elaboration d'un guide technique de réhabilitation du patrimoine (Habitat) de la période ottomane, Mémoire de Magister, Université Mouloud Mammeri de Tizi-ouzou, département d'Architecture, 2011-2012.
-Barrucand, M. et Bednorz, A., L'Architecture Maure en Andalousie, P.M.L. Edition et Taschen, Italie, 1995.

-Bourouiba,R, Apports de l'Algérie à l'architecture religieuse arabo-islamique, O.P.U.,Alger, 1987.

-Bourouiba,R, L'Art religieux musulman en Algérie, S.N.E.D., Alger, 1973.

- **Dokali, R,** Les Mosquées de la période turque à Alger, S.N.E.D, Alger, 1974.

-Golvin,L, Recherche archéologique à la Qala de banu Hammad, Maison-neuve, Paris, 1965.

-Golvin,L, Essai sur l'Architecture religieuse musulmane, Tome 1, Généralités, Edition Klincksieck, Paris, 1970.
-Marçais,G, L'Architecture musulmane d'Occident, Arts et Métiersgraphique, Paris, 1975.

-Missoum, Sakina, Alger à l'époque ottomane ; la Médina et la maison traditionnelle, INAS, Alger, 2003.

-Raymond, André, Grandes villes arabes à l'époque ottomane, Editions Sindbad, Paris, 1985.

Bourouiba,R, Apports de l'Algérie à l'architecture religieuse arabo-islamique, O.P.U.,Alger, 1987.

-Bourouiba,R, L'Art religieux musulman en Algérie, S.N.E.D., Alger, 1973.

- **Dokali, R,** Les Mosquées de la période turque à Alger, S.N.E.D, Alger, 1974.

-Golvin,L, Recherche archéologique à la Qala de banu Hammad, Maison-neuve, Paris, 1965.

-Golvin,L, Essai sur l'Architecture religieuse musulmane, Tome 1, Généralités, Edition Klincksieck, Paris, 1970.
-Marçais,G, L'Architecture musulmane d'Occident, Arts et Métiersgraphique, Paris, 1975.

-**Missoum, Sakina,** Alger à l'époque ottomane ; la Médina et la maison traditionnelle, INAS, Alger, 2003.

-**Raymond, André**, Grandes villes arabes à l'époque ottomane, Editions Sindbad, Paris, 1985.